وشرح الكاتبان، في الفصل الخامس، «محنة الجيش» الاسرائيلي، حيث بدآ الفصل بعرض حوار في جلسة مجلس الوزراء المصغّر، حين قال الوزير عيزر وايزمان في الجلسة: «اخرجوا من جباليا. دعوهم يحرق بعضهم بعضاً. اخرجوا جيش الدفاع الاسرائيلي. ليس لنا ما نفعله هناك» (ص ١٤٩). لكن وزير الدفاع الاسرائيلي، في حينه، اسحق رابين، ردّ على وايزمان قائلاً: «عمّ تتحدث؟ هم سيحرقون جباليا، ثمّ تندلع النار في كل شيء. ستنتشر الى جميع النواحي» (الصفحة ذاتها). وخلص الكاتبان الى القول: «وزُجَّ جيش الدفاع الاسرائيلي في محنة لم يألفها من قبل، ولم يعهدها في الحروب السابقة» (الصفحة ذاتها). وبدأت المستويات السياسية الاسرائيلية تتهم الجيش بالتقصير في اخماد الانتفاضة، فقد قال الوزير اسحق موداعي: «اذا كان جيش الدفاع الاسرائيلي لا يسعه تصفية الانتفاضة، فليقل لنا قادته ذلك بوضوح» (ص ١٤٩). وردّ عليه رئيس أركان الجيش الاسرائيلي، في حينه، الجنرال دان شومرون: «ان جيش الدفاع يقوم بتنفيذ تعليمات الحكومة، ويمارس مهامه بموجب ذلك» (الصفحة ذاتها). وشرح الكاتبان، في هذا الفصل، المشكلات التي واجهها الجيش الاسرائيلي مع المنتفضين الفلسطينيين، ومع المستوطنين الاسرائيليين في الاراضي المحتلة، ومع المستوى السياسي في حكومة اسرائيل، ومع وسائل الاعلام التي كانت تفضح ممارسات الجيش الاسرائيلي ضد السكان الفلسطينيين؛ اذ تحوّلت المناطق الفلسطينية المحتلة «الى جبهة ثالثة بالنسبة الى جيش الدفاع الاسرائيلي... فنشأ خطر من ان هذه الجبهة الثالثة، ازاء سكان مدنيين متمرّدين، قد تصرف أنظار جيش الدفاع الاسرائيلي عن مهمّته الاساسية، وهي الاستعداد لامكان نشوب حرب ضد ائتلاف عسكري عربي» (ص ١٩٤).

في الفصل السادس، عرض الكتاب ظروف نشأة القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة، وأساليب عملها، وصراع الجيش الاسرائيلي ضدها، بالاضافة الى مشكلاتها في ما يتعلّق بصعوبة الاتصال والتنسيق مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. لكن طبيعة الانتفاضة وشموليتها وفّرت للقيادة الوطنية الموحّدة، كما قال الكاتبان، سنداً فكرياً في الوسط الجامعي الفلسطيني: «فقد سندت القيادة مؤخّرة متراصّة من المفكّرين بصورة حلقة من المحاضرين... فكانت هذه بمثابة مجمع تفكيري غير رسمي، أجرى، طوال أشهر عديدة، مداولات ومناظرات تجريبية، تمّ استيعاب صداها في المناشير بسرعة تامّة» (ص ٢٢٦). لكن القيادة، التي أمل مؤسسوها في ان تكون قيادة مركزية لادارة الانتفاضة، قال الكاتبان، فشلت في ذلك لأسباب استعرضاها على مدار هذا الفصل، وتتلخّص في تتابع ملاحقات سلطات الاحتلال للرموز القيادية، من جهة، واضطرار تلك الرموز الى العودة في كل أمر الى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج. وبدلاً من توفّر مثل هذه القيادة المركزية للانتفاضة، تحمّلت الزعامات المحلية «الأعباء الأساسية للمواجهة مع اسرائيل، لأنها حاولت تثبيت الأمر الواقع في الميدان بشكل نويات حكم لدولة مستقبلية، بما في ذلك تخطيط اقامة الجيش الشعبي وميليشيات مماثلة» (ص ٢٣٦).

وبحث الكاتبان، في الفصل السابع، مسألة انعكاس الانتفاضة على الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية: «فقد أهاجت الانتفاضة مشاعر عرب اسرائيل أكثر من أي أزمة أخرى وقعت منذ ' حرب الأيام الستة' ؛ اذ لم يكونوا قادرين، بل لم يشاءوا أيضاً الوقوف موقف اللامبالاة بالنسبة لما يجرى لدى اخوتهم الفلسطينيين» (ص ٢٣٧). ثمّ استعرض الكاتبان أوضاع هذه الفئة من الشعب الفلسطيني، وعلاقتها بالسلطات الاسرائيلية، على الرغم من مواطنيتها، والمشكلات التي واجهتها وما زالت؛ كما عرضا للنقاشات الدائرة داخل اسرائيل اليهودية حول وضع الأقلية الفلسطينية؛ هذه النقاشات التي تتوزّع بين الدعوة الى منح هذه الأقلية حقوق المواطنة كاملة، وبين الداعين الى سلبها الحقوق التي حصلت عليها حتى الآن، وبين القائلين بقبول الوضع كما هو. ورأى الكاتبان «ان تهرّب حكومة اسرائيل من بحث الموضوع لا يمكنه طمس الخطر من مغبّة انضمام عرب اسرائيل ذات مرة في المستقبل الى الانتفاضة؛ وعند ذاك ستكون هذه أخطر انتفاضة» (ص ٢٥٥).